

الأنوار السنية
في تاريخ الحياة التجانية

قصيدة

تأليف
الفقير إلى ربه
محمد الشافعي الشريفي النفطي

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله جل جلاله

و تقدست كماله

و الصلاة و السلام على أفضل أنبيائه

و على آله و أحبابه و أصفياه.

أذكر أني كنت حظيت أثناء رحلتي للديار الفاسية بزيارة الروضة المقدسة التي غربت فيها شمس الحقيقة الأحمدية التجانية، و أسعدني حسن التعلق بروحه الكريمة و التمسك بطريقته القويمة بالإقامة بها أشهر قمرية أعدها من أنفس سلسلة عمري الذهبية ، حيث كنت أتمتع فيها بتجليات أنواره و أستمد من بحور أسرارهِ، و كنت أثناء تلك الأشهر المباركة أرخيت عنان قلبي في صحائف تاريخ حياة شيخنا القطب المكتوم و الختم الأكبر المعلوم قد بج في تاريخ حياته عبارات مسجعة ما بين مطرفة و متوازية و مرصعة ، و هي في التعريف بفضائله للمريد كافية لمن يتلهف الوقوف على خصائصه شافية جمعئها في رسالة لطيفة تكتب بأملق لبصر.

ثم اتفق أن ضمنى مجلس حافل بنخبة من علماء فاس و محدثيها استطرد فيه ذكر شيخنا الخاتم الأكبر بما أناه الله من المقامات العلية و الخصائص السامية،فانحنى عليه بعض من في قلوبهم حرج من شغوف رتبته بالإنكار متكلفا تأويل آيات الله في المحكمّة و المتشابهة و ما لم يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم ، و قد دَحَضْتُ شُبُهَاتِهِ و رددت عليه تأويلاته و ألزمته الإعراف بالحجج الساطعة و الإنابة بالبراهين القاطعة، فأظهر الإعراف بلسانه و الله يعلم ما في جنبه.

ثم لما عدت من ذلك المجلس إلى الروضة الأحمدية و جلست مقابلا لقره الأقدس الذي ضم جسده الأنفس، سنح لي نظم قصيدة جامعة لأهم النَّفَائِسِ سلسلة حياتِهِ الشمسية و نزرٌ من فضائله و خصائصه الوهيبية، و الرد على المنكرين عليه مواهبه و كمالاته.

فشرعت فيها و أنا استمدها من روحه الطاهرة ذات الفيوضات الزاخرة
فجاءت بحمد الله عيوناً ناضرة و أنواراً باهرة.
و قد سميتها " - بالأنوار السنيه في تاريخ الحياة التجانية - " و السيوف
الربانية في قطع أعناق المتطاولين إلى إنكار خصائصه الصمدانيه ثم وزعتها
على كثير من الأحاباب غير أنها لم تنشر بين الأحاباب انتشاراً خصوصياً فضلاً
عن العمومي لحد الآن.
و قد اطلع عليها بعض فضلاء الطريقة و خاصتها فوقت منه موقع
الإعجاب و اقترح علي طبعها ليتسنى نشرها بين الأحاباب فما وسعني إلا إجابة
رغبته حرصاً على إرادة الخير بها لعموم الأحاباب.
فإلى جميع الأحاباب أقدمها هدية و أرجو منهم الدعاء الصالح عند إنشادها
و الله أسأل أن يميّتنا و إياهم على محبة الشيخ و أتباعه و أن يحشرنا و إياهم في
زمرته و يجعلنا من جواره في عليين.

محمد الشافعي الشريفي النفطي

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تعلو علوك الأولياء
و كذا العرش موطنك لك يا من
كل نور في الكون منك مضيء
أنت شمس و هم نجوم تجلت
أنت من خصه الكريم بفضل
و من المصطفى أتاك علوما
أنت مفتاح كل خير فما تب
يا وليا له السماء و طاء
قصرت عن رقيق الأصفياء
يا إماما مأموه الأولياء
في ظلام الدجى لهن سناء
لم تنله من قبلك الأتقياء
عن جميع الورى لها إخفاء
رز إلا عن بابك الآلاء

مولده رضي الله عنه

لم تجز مدة من الدهر إلا
أي يوم قد عم فيه سرور
أي يوم فيه لعائشة الفخر
هو يوم أنت بأحمد فيه
فهنيئاً لها بأفضل قطب
اشعرت أهلها بك العرفاء
و بدا للوجود فيه الضياء
ر الذي فضلت به و الهناء
غبطتها بوضعه النفساء
ما أنتنا بمثله حوراء

موضع مولده و نشأته

أي يوم قد لاح فيه التجاني
هو يوم " بعين ماضي " تدلى
و بها قد نمى كل البدر يرقى
قد أجاد القرآن حفظاً صغيراً
ثم من بعد العلوم تعاطى
كل هذا من قبل حلم يراه
و على الكون فاح منه الشذاء
فاستنارت من نوره الغبراء
في المعالي غذائه الإهداء
عام سبع و هكذا الأنكياء
فأقرت له بها العلماء
عجزت في ميدانه البلغاء

تشوق نفسه لمقامات الفتح

في المنام الفتوح و هي ابتداء
بسلوك قد سنه الأولياء
عن رجال له بهم الإقتداء
تستضيء الديار و الأنحاء
و علومًا قد بث فيها الشفاء
ز بلقياه فإعتلاه البهـاء
حسدتها في نيلها الجوزاء
ث و بالشيخ كان منه إحتفاء

في زمان الصببا تجلت إليه
فسمت نفسه إلى الفتح حسا
فغدا يضرب البسيطة فحصا
فلفاس أتى مراراً فأضحت
و تلمسان قد حباها بمكث
و سليل المشري فيها لقد فا
و لوزان زورة شرفتها
فتلاقى بقطبها الطيب الغو

سفره إلى الحجاز

وحنين لانت له الصماء
حيث فيه العوالي حيث قباء
في مقام ماجت به الدماء
بعلوم قد كان فيها الدواء
من سباتهم فعمهم الإهتداء
د و منه استفادت النجباء
سبحت في أمواجه العلماء
فأنته المراتب العلياء
ها سخاء و نعم هذا السخاء
بكريم قد جل منه العطاء
و به اهتز للطواف الصفاء
في عواليها طيبة الفيحاء
ق و من بعدها يطيب البكاء
طاب للمصطفى الرسول الثواء
فعلته الأنوار و الأضواء
ضاء منها الأوصال والأحشاء
تتجلي عن إشراقه الظلماء

هاجه للحجاز شوق عظيم
حيث فيه المقام حيث حراء
فغدى سائرا ليحظى بحج
فأتى " تونس " فأحیی نفوسا
و أتى سوسه فأيقظ قوما
و أتى " مصر " دار شيخه محمو
قد أفاض العلوم فيها بحاراً
و أتى " الكعبة " الشريفة قدراً
ثم لأبن الهندي أحمد أهـدا
هكذا الجود هكذا الجود فأكرم
عرفته بمشيه عرفـات
ثم من بعد حجه أم أرضاً
يا لها بلدة لها يعظم الشـو
ليس في الكون مثلها حيث فيها
و بدار التنزيل مرع جسمـاً
إذ كساه الحبيب حلة نـور
فتراه العيون كالشمس يبيـدو

الفتح الأكبر

وبقصر الاسعاد سمغون
فأتاه الرسول فيه جهارا
وله الورد عند ذاك حباه
بسط القول حيث يصغى إليه
أمسى ثاويا حيث حان فيه اللقاء
لاعتناء وحبذا الإغتناء
أي فضل حواه ذاك الحباء
حبذا البسط حبذا الإصغاء

مضمون المناجات

أنت مني إلى خير الرسل سليل
ذر جميع الشيوخ و الزمه اني لك
يحمل الورد من أراد سلوكا
ذكره مرتين في كل يوم ليس فيه
هو بالفتح في السلوك كفيل
و لتاليه ضعف أضعاف ما يعد
و هو لي صاحب ضمنت إليه
مثل أصحابي لا انقطاع بذنب
كلما رمته علي الوفاء
شيخ يزول عنك الغطاء
ما على من يريده الإختلاء
على المرید عناء
إن يدم منه كل يوم أداء
طي هجوع لا يعتريه غفاء
بي اتصالا ما دام منه الأداء
إن يتب منه فالرجوع صفاء

بعض ما يجب على المرید

و إحذر الترك يا مرید لورد
و تفرد به على كل ورد
لا تخف إن رفضت عنه سواه
كل ورد سواه يقبل نسخا
فاترك الغير و اغتتمه لوصل
فعلى تركه العقاب جزاء
فهو فرد و ما شركاء
من شيوخ لهم عليك الولاء
و هو لكل ناسخ محاء
و لفتح يحق فيه الرجاء

ترقيه مقامات للولاية الكبرى

و ترقى بعد الفتوح مقاما
و المقام المكتوم بعد ترقى
ما علاه إلا مقام نبى
أو صحاب رأى النبى حياة
و مقام الختام مازال محفو
خص بالشيخ ما له من مسام
أمره الأمر و القضاء قضاء
أي فضل حواه ذاك الإرتقاء
لا يصح لمدعيه إدعاء
فضله لسر فيه عنا خفاء
ظا إليه من دونه الكبراء
كل دعوى من بعده فإقتراء

بعض خصائصه

كل قطب من تحت قدميه عبد
من وجود الدنيا إلى النفخ بحر
شيخنا منبر من النور يرقى
ملك عند ذا ينادي ألا ها
إنما كان في الخفاء لرفق
إذ عليهم له الولا و العلاء
لجميع الأنام منه استقاء
يوم حشر الورى و هم بصراء
ذا هو الختم ماله نظراء
بنفوس لما لها الإعتلاء

الرد على المنكرين

من معال له عليها استواء
قلت ذا جائز أيا أغبياء
شيخنا أحمد الختام عواء
ملؤها من علوه البغضاء
أنظروا شمسه و هم جهلاء
من سفيه في عينه الأقياء
و له الفضل ماله احصاء
ليس في الملك فاعلا ما يشاء
فإنكاركم عليكم وبغضاء
مشركون من بيننا سفهاء
اختيارا و النفي منكم هراء
حيث زاغت منكم به الآراء
فيه حادا فامهم الانجلاء
ترضوه فأنتم الأشقياء
فله أمة به شرفاء
و عذاب تصلى به الأعضاء
علماء أئمة صلحاء
فتبينهم له الشهاداء
ليس من شيمة النصوص الإعتداء
ليس يخفيه من حسود مراء
أو نبي و ما سواه ثغراء
ولا واجب عليه العطفاء
و له الملك ماله شركاء
عالم يستحيل عنه الفنفاء
لجميع الورى له انشاء
س جميعا له عليه ولاء
يستقي و هو رحمة و شففاء
خاتم الأولياء منه ارتواء
بمقام له العلو ابتداء
يهب الفضل و العلا من يشاء

كل هذا الذي ذكرته نزر
إن تقولوا إذ لغير نبي
عجبا من أقوام سوء لهم في
شحنت بالظلام منهم قلوب
طمست منهم السررائر حتى
لا يضر الإنكار للشمس نورا
أنكروا فضل ربنا المتعالي
خبرونا أهل الكتاب اربي
إن ذهبتم إلى المشيئة لله
أو إلى غيرها فأنتم أناس
ما أراكم إلا نفيتم عن الله
قد تعديتم للإله حودا
حسبكم نظرة لقوم تعدوا
فرضي الإله عنه فإن لم
ان جحدم فضل الإله عليه
حسبكم بالجحود نار جحيم
فضله بينته كتب ثقاة
عضدتهم آيات حق من الله
ما عليكم حملت إلا لنصح
فالإمام المكتوم فضله باد
لا تقل فيه إنه ابن إليه
جائز ليس بالمحال عن الله
يهب الفضل من يشاء و يحو
واحد قادر على كل شيء
فاعل ما يريد و هو عنبي
جعل المصطفى رسولا إلى النا
خاتم الأنبياء و الكل منه
و الإمام المكتوم شيخي وليا
صحبه فوق كل غوث كبير
ذاك فضل من الإله فصدق

وفاته رضي الله عنه

عاش شيخي السمي عمرا مليا
في (ملي) ما عاشه الشيخ عدا
ليوازي سن النبي بما عا
و بفاس في عام لام و راء
أظلم الكون حين غاب سنه

(ملي) أي في لفظ ملي
عمر الشيخ و هو ثمانين سنة
فالميم 40 و اللام 30 و الياء 10

ذكر أولاده و بعض خصائصهم

و بقى من أولاده قمره
و هما ذو الهدى الكبير المفدى
و الحبيب الرضى محمد و صفا
ضمن المصطفى لكل علومها
و مقاما عن كل غوث تسامى
أي بدر منهم تبين إلا
من فيوض الأسرار من حضرة
و بلوغ الكمال من غير شرط
كل من كان خادما لعلاهم
لا حساب و لا عقاب عليهم
يا بدورا على الأنام تعالت
آل بيت الختام أنتم شمسوس
و لكم في الرسول أصل زكي
من أتى حيكما يريد و صولا
عطفة منكم لصب قتيلا
جاء يهوى من بعد أرض و صالا

بهما يزدهي الثرى و السماء
من له الباس ينتمي و السخاء
من له من الهنا الإصطفاء
بالعلي الذي له الكبرياء
يقتضيه من الكريم اجتناء
نال ما لا تتاله الأولياء
الله اجتناء لهم كذا الإثراء
عن أبيهم قد صحت الأنبياء
يدخلون الجنان من حيث شاءوا
لا يحيق الردى بهم و البلاء
أين منها النجوم أين الذكاء
في سماء العلا بكم الإهداء
و لكم فيه أسوة حسناء
زال عنه العنا و زال الشقاء
من جفاكم في قلبه البرحاء
كيف يشقى و أنتم الكرماء

حاش و الله أن يخيب نزيل
يا كرام الورى يا أهل المزايـا
جنتكم و الفؤاد منى عليـل
ليس لي وسيلة سواكم لربي
رب داوم لهم أجلاً سلام ما
و ارض عنهم و عن خديم محب
و جميع الأحباب في كل أرض
صل يا رب ثم سلم على من
و على الأل و الصحابة جمعاً
أو تلا " الشافعي محمد " مدحاً

في حماكم و أنتم الفضلاء
حق لي بالولاء فيكم رجاء
عني ينتقي علي الشقاء
يا كراما لكم علينا الإلاء
هما للأنام منهم حياء
يرتجي أن تنيله ما يشاء
و زمان ما دامت الغبراء
نوره يستضيء منه الفضاء
ما دجى الليل و اعتراه الضياء
كيف تعلو علوك الأولياء.

قال ناظمها عفا الله عنه

كان الفراخ من نظمها

عشية يوم الإثنين من أوائل شهر رجب الأصعب

سنة 1329 هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التحية.